15- إشكاليات تحليل الخطاب :

إن أي علم يرتبط نجاحه خصوصا بتحديده للموضوع ، و تحليل الخطاب يعاني من هذا بسبب علاقته الوطيدة باللسانيات ، و لقد أكد على هذه العلاقة هاريس و بنفنيست عندما اختزلا الخطاب في موضوع السانيات، و تحديده كتقاطع بسيط و خطي للجمل، وهناك من الدارسين من يعترض على أن يكون تحليل الخطاب علما لسانيا .

إن المشكلة الرئيسية التي لازمت تحليل الخطاب هي تحديد موضوعه الذي ظل يتردد حول المفهوم نفسه (الخطاب)، وعلى الرغم من ذلك فقد ظهرت تخصصات تدعي أنّ الخطاب موضوعها الرئيس بامتياز، و هذا مشكل ثان إذ إن الخطاب و تحليل الخطاب سيصبحان أهلا لكل المجالات و الاختصاصات .و يشير دومنيك مونجينيو إلى أهم القضايا التي يثيرها تحليل الخطاب ، و هي :

1- استعارة أدواته من مجالات عديدة مثل الدلالة و التلفظ .

2- مفهوم الخطاب فنحن إزاء أكثر من أربعة تعريفات و هذا يطرح صعوبة تحديده لموضوعه.

3- اختلاف المنطلقات الفكرية لدارسي الخطاب و تحليله، و تباعد مجالات اختصاصهم، ف" لايتسنى في باب البحث أن نفكر كما لو كان الأمر يتعلق بتوحيد موازين أو مقاييس، فليس المشكل مشكل مصطلحات فقط، فهو يمس أيضا المقتضيات التي تقوم عليها الأبحاث ، فالأبحاث في تحليل الخطاب لا تنمو في القارة الأوروبية ، و بصفة أخص في فرنسا في التربة التي تنمو فيها في مناطق أخرى من العالم فهو – أي تحليل الخطاب – يقوم فيها ، و في الآن نفسه على تقاليد في دراسة النصوص طويلة تركت فيها البلاغة ، و الهرمينوطيقا الأدبية أو الدينية ، وفقه اللغة آثارا عميقة ، و على تاريخ أقل منها طولا بكثير، تاريخ العلوم الإنسانية و الاجتماعية وعلم النفس التحليلي أو الفلسفة . و تطور الأبحاث في تحليل الخطاب يغنم غنما كبيرا من المواجهة التي تحصل بين تمشيات تنتمي إلى عوالم نظرية متنوعة" [1].

---

[1] - المرجع السابق: ص9.

4– قضية اشتراك المصطلح الواحد بين أكثر من ميدان، و هي من أكبر المشاكل التي واجهها أصحاب معجم تحليل الخطاب ، يقولان :" و من البديهي أنه سرعان ما تبين لنا أن بعض المصطلحات كانت وقفا على ميدان من الميادين ...و أن بعضها الآخر كان مشتركا بين ميادين كثيرة ، و إنْ بمعان مختلفة (أرشيف ، الاستهواء)، في حين يمكنك اعتبار قسم آخر منها مخترقا ميادين عديدة (خطاب، ملفوظ، جنس)، و لذلك كان علينا حتى نتجنب كثرة التشتت أو الوقوع في التكرار، و الإعادة أن نوزع المسائل توزيعا متوازنا ، و أن نحتفظ لأنفسنا بأكثر الألفاظ المخترقة ، و العمل أحيانا ، و في المدخل الواحد على وضع أكثر من تعريف وجها لوجه "[2].

و قاد هذا الإشكال دومنيك مانغونو و بارتريك شارودو إلى إتباع منهجية تجعل الدارس متبصرا لهذه المعضلة ، يقولان في المعجم: " و من ثم نجد في هذا الكتاب مجموعتين فرعيتين من المصطلحات : مجموعة أولى، وهي الأهم إلى حد بعيد ، تشتمل على المصطلحات التي ظهرت في العقود الأخيرة في أعمال موضوعها الخطاب (أدوار الكلام) تشكل خطابي ، عمل لغوي ، داخل الخطاب ن الخ) . والمجموعة الثانية تتكون من المصطلحات التي برزت ضمن إشكاليات ، أو فنون مجاورة (العائد، إعادة الصياغة ، وجوه بلاغية ، حجة الخ) ، و لكنها عولجت من زاوية تحليل الخطاب، لا بالكيفية التي قد يكون نظر إليها منها في معجم يتصل باللسانيات، أو البلاغة، أو علم الاجتماع .. زد على ذلك إننا لم نورد مداخل متصلة بأصناف من المدونات كالوسائط ، و الخطاب الديني أو المدرسي ، و لا بأجناس خطاب كالمنشور السياسي، أو العيادات الطبية أو نشرة الأخبار التلفزية ... و من ثم و أمام استحالة الانتهاء إلى شبكة مصطلحات تزعم الإحاطة بالأبحاث التجريبية المتنوعة تنوعا لا ينتهي ، أردنا أن نضع مصنفا معقول الحجم في استطاعته أن يوفر الرواسب النظرية و المنهجية "[3].

– تعدد المفاهيم للمصطلح الواحد :" أما في ما يخص معالجة الحدود فقد كان علينا حل مشكل من نوع آخر، فمن النادر أن تكون المفاهيم في مجال تحليل الخطاب ، أحادية

---

[2] -المرجع نفسه : ص10.

[3] - المرجع نفسه: ص12.

الدلالة فللمصطلح الواحد إجمالا عدة معان يصعب التمييز بينها لمن ليست له في هذا النوع من البحث تجربة . فكيف و الحال ما ذكرنا. نبرز جملة من الحدود دون أن نقع في عرض مطول لمختلف النظريات التي ينخرط فيها و هو ما كان يجعل هذا المعجم في غاية التشابك (....) و لذلك اخترنا أن نعرض للمصطلح الواحد مختلف الاستعمالات بالرجوع إلى مختلف المؤلفين الذين قدموا في شأنه تحديدا من غير أن نزهد ، مع ذلك، في إعطاء هذه المفاهيم الوجهة التي اخترنا، و لم يمنع هذا الصنيع من أنّ من المداخل ما يُغلِّب بصفة واضحة المنظور النظري، و منها ما يلح أكثر على إحصاء الاستعمالات " [4].

5–النتيجة المنطقية لكل هذه الإشكالات من منظور أصحاب معجم تحليل الخطاب هي صعوبة إنجاز دراسة في تحليل الخطاب بالنظر إلى القضايا و الإشكالات المطروحة " و لا مجال للشك في أن تبرير وجود في الخطاب أعسر جدا من تبرير أبحاث في اللغة و الأدب و علم النفس و المجتمع و التاريخ ، إلا أن الأبحاث في تحليل الخطاب ليست ثمرة بعض العقول المستطرفة إنها الشاهد على التحول العميق في علاقة مجتمعنا بملفوظاته الحاضرة و السابقة "[5].

يمكننا أن نختم هذا الموضوع الشائك بقول لسارة ميلز استشعرت فيه صعوبة ولوج الخطاب و تحليله، تقول : " و ما يجعل عملية تعريف الخطاب أعقد كما أشرنا من قبل هو أن أغلب المفكرين لا يحددون في استخدامهم المصطلح ،أي هذه المعاني يقصدون ، كما أن أغلب المفكرين يعدلون حتى في هذه التعريفات الأساسية"[6]

---

[4] - المرجع السابق ، 12 .

[5] - المرجع نفسه : ص13.

[6] -سارة ميلز: الخطاب ، ترجمة عبد الوهاب علوب ، ص13.